

الحرب على غزة والبيئة الأمنية الجديدة

: لا يبدو أن القرار الأممي 1860 كاف لردع الدولة العبرية عن المضي في عدوانها على قطاع غزة، فارتفاع أعداد الشهداء إلى أكثر من 800 والجرحى إلى ما يقارب 3500 لا يدل إلا على أن هذه الأرقام مرشحة للارتفاع أكثر، لاسيما بعد أن ينجلي غبار المعركة. القتل الممنهج الذي تقوم به آلة الحرب الإسرائيلية في شعب أعزل لا يبدو أنه سيمر بلا آثار على المدى البعيد لاسيما فيما يتعلق بالبيئة الأمنية سواء على مستوى منطقة الشرق الأوسط أو العالم ككل.

الدولة العبرية وعبر مسؤوليها تحدثت عن تغيير الواقع الأمني في غزة، تغيير يركز على إضعاف ما يسمونه بقوة حماس التسليحية، لكن هذا الهدف الاستراتيجي لهذا العدوان وبعد أسبوعين لا يبدو أنه يتحقق، وما يتغير فعليا هو البيئة الأمنية في المنطقة مما ينعكس بالضرورة على البيئة الأمنية في العالم. والبيئة الأمنية التي أقصد هي تلك الظروف التي تعمل على زيادة مبررات اللجوء لاستخدام العنف ضد الآخر، والعنف هنا إما أن يكون بقصد التخريب أو القتل أو الاثنين معا.

لقد أرادت إسرائيل من عمليات القتل الممنهج في غزة الحصول على أمن الساكنين في مستوطنات إلى الجنوب والشمال من غزة، تستخدم القوة التي يسميها العالم الحر مفرطة دون حساب ودون حسيب، استخدام تعتقد إسرائيل أنه سيجعلها أكثر أمنا، لكن إسرائيل والعالم من ورائها تجاهل أن الآخرين من حقهم الأمن، والأمن ليس فقط أن لا تصل إسرائيل صواريخ من غزة، المسألة التي أراها تقزم مفهوم الأمن الشامل، فتجوع سكان غزة ومنع الغذاء والدواء من الوصول بشكل طبيعي دون الحاجة إلى الأفاق كان في حد ذاته أكبر تهديد لأمن غزة، وبالتالي على إسرائيل ومن ساند محاصرة غزة أن يعي أن الأمن هو مطلب للجميع وبمستويات مختلفة وأن الاستمرار في سياسة الحصار لن تجر إلا تهديدا متبادلا، وأن إسرائيل لن تكون بمنأى عن هذا التهديد.

إقليميا وكما يبدو مما يحدث فإن إسرائيل زادت من التهديد لأمنها وأمن الدول الأخرى، فالدول الإقليمية التي انتقدت العدوان على غزة أو تلك التي تعتبر مدانة من قبل الرأي العام لديه مشكلة في الثقة بينه وبين من تحكم، العلاقة التي لم تكن بأفضل كثير لكنها كانت علاقة مأزومة ربما لكنها قابلة للإدارة. ما يحدث الآن هو أن كثيرا من الحكومات ستقيم هذا التفاعل الجماهيري وإن كان عقلانيا فإنه مقلق بسبب السرعة الهائلة في الحشد من جانب، وكذلك القدرة على تنظيم الذات بشكل أسقط مقولات الكثيرين من أن أي تجمع يحمل في طياته عناصر تسيء الاستفادة من الحدث. هذا من جانب، من جانب آخر فإن ما حدث في الأسبوعين الماضيين ربما لن يمر دون أن يكون دافعا ومقويا لقتاعات البعض في أن العنف هو الوسيلة الوحيدة، لاسيما مع وجود فتاعة حول جدوى التظاهر في ظل عدم وجود قرار للدفاع عن أهل غزة.

الهاجس من أن تكون الحرب على غزة سببا في خلق بيئة أمنية جديدة تتعزز فيها ردود الأفعال على ما حدث ليست مسألة متعلقة بالإقليم وأقصد هنا الشرق الأوسط، بل متعلقة بالعالم كله، فهذا جوناتان إيفانز مدير جهاز «MI5» في بريطانيا يحذر من أن تحرك أحداث غزة مسلمي أوروبا وبريطانيا تحديدا للعمل ضد تلك الحكومات في ظل عدم قيامها بأي فعل لوقف الحرب على غزة، تقييم هو بالضرورة لن يكون بعيدا عن تقييمات تقوم بها دول في الإقليم نفسه.

إن من المؤكد أن هناك فضاء أمنيا وسياسيا أخذ في التشكل في منطقة الشرق الأوسط والعالم نتيجة للحرب على غزة، لذلك فإن من الضروري ألا يتم فصله عن الظروف التي ساعدت على تشكله، لاسيما لمعالجة أي آثار غير مرغوب بها قد تحدث.

mzweiri@aol.com